لليمن لا لعلي عبدالله صالح

من صُراخ الغوغاء الى غُبار الأتربة

(8)

ما من شك في أنّ اختزال المطالبة بالحوار بين السلطة والمعارضة في شروط ومطالب تتعلق بما تسمى (القضية الجنوبية) لا يجعل هذه المطالب ممكنة التحقيق في داخل الحزب نفسه، بل ويجعلها غير مؤهلة للحصول على إجماع (اللقاء المشترك) منذ أن أصبح الحزب الاشتراكي مجرد لوبي صغير في ماكنة هذا التكتل الذي يقوده حزب (التجمع اليمني للإصلاح)، علماً بأنّ حزب "الإصلاح" درج على استخدام (القضية الجنوبية) بعد فشله في الانتخابات الرئاسية والمحلية كورقة سياسية ضمن أوراق أخرى في تكتيك اللجوء إلى الشارع ، بهدف إرباك السلطة وإضعافها سياسياً واقتصادياً وأمنياً، بما يكفل منع تنفيذ البرنامج الانتخابي لرئيس الجمهورية والحزب الحاكم ، وتمهيد الطريق لوصول حزب التجمع اليمني للإصلاح إلى السلطة وتنفيذ برنامجه السياسي الملتبس بالمشروع التاريخي لحركات الإسلام السياسي الصحوي الذي ينطلق من فكرة بناء الدولة الإسلامية الإمبراطورية وإعادة نظام الخلافة. وهي فكرة لم يبلور حزب (الإصلاح) حتى الآن قطيعة سياسية وأيديولوجية معها، ولم يحدد حتى الآن موقفاً نقدياً واضحاً وشجاعاً من تناقضها الصريح والسافر مع الدستور والنظام الجمهوري والديمقراطية التعددية وميثاق الأمم المتحدة وميثاق الجامعة العربية، بما هي ثوابت وطنية ودولية يجري الالتفاف عليها من خلال خطاب سياسي وإعلامي تكتيكي اضطر الإخوان المسلمون الذين يقودون حزب (الإصلاح) إلى تبنيه بعد قيام الوحدة والتحول نحو الديمقراطية التعددية.

أحمد الحبيشي

وقد تعزز هذا الاتجاه لدى (الإخوان المسلمين)في حزب (الإصلاح) بعد انتخابات 1997م وخروجهم من المشاركة في السلطة إلى المعارضة، وتحالفهم مع الحزب الاشتراكي اليمني في إطار " اللقاء المشترك "، وصولاً إلى انخراطهم العلني والسافر في برامج نشر الديمقراطية التي تمولها الولايات المتحدة الأمريكية ودول الاتحاد الأوروبي بهدف الاستفادة من مفاعيلها الدولية وتوظيفها لدعم وصول (الإسلام السياسي) إلى السلطة في اليمن عبر الديمقراطية، وهو موضوع سيكون لنا معه وقفة تحليلية في القسم الثاني من هذا المقال عندما نتناول بنية الخطاب السلفي العام في اليمن بعد إجازة عيد الفطر المبارك بإذن اللّه .

وما من شك في أن إصرار تكتل (اللقاء المشترك) على رفض دعوة رئيس الجمهورية الأخيرة للحوار حول مشروع التعديلات السياسية التي طالت شكل النظام السياسي والسلطتين التنفيذية والتشريعية مع تحديد الفترات الدستورية للرئاسة والسلطة التشريعية، باتجاه إقامة حكم رئاسي كامل يستند إلى حكمٍ محلي منتخب و واسع الصلاحيات والموارد، يقدم دليلاً إضافياً على أنّ أحزاب (اللقاء المشترك) غير مؤهلة هي الأخرى لمعالجة القضايا الجوهرية التي تتعلق بمصائر البلاد عن طريق الحوار السياسي ، بما هو أحد آليات العملية الديمقراطية التي تشارك فيها.

وأرجو أن أكون مخطئاً في التقدير حين أرى أجندة أحزاب (اللقاء المشترك) بقيادة حزب التجمع اليمني للإصلاح وهي تتجه بوضوح منذ فشلها في الانتخابات الرئاسية والمحلية عام 2006م إلى الانقلاب على الديمقراطية بواسطة ((انتفاضة ثورية شعبية)) تقوم بها هذه الأحزاب من خلال ناخبي الأقلية في الشارع، بعد أن فقدت ثقة غالبية الناخبين عبر صناديق الاقتراع . بمعنى أنّ طبول المجابهة في الشوارع صارت هي صاحبة الصوت الأعلى مقابل صوت الحوار السياسي في الأطر الديمقراطية للمجتمع المدني والمؤسسات الدستورية للنظام السياسي.

ومن نافل القول إنّ مشروع اتحاد الجنوب العربي كان يستهدف نزع الهوية اليمنية عن الجنوب المحتل، وتلفيق هوية بديلة.. وقد بدأ هذا المشروع يلفظ أنفاسه الأخيرة بقيام ثورة 14 أكتوبر التي أنجزت الاستقلال الوطني للجنوب، وأطلقت الرصاصة الأخيرة على مشروع "الجنوب العربي" بما هو نظام حكم أنجلو سلاطيني معادٍ للهوية الوطنية اليمنية، وأقامت على أنقاضه جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية التي أعادت الهوية اليمنية إلى جنوب الوطن بعد تحريره من الاستعمار في 30 نوفمبر 1967م، وصولاً إلى قيام الجمهورية اليمنية في 22 مايو 1990م، التي أعادت للوطن اليمني المشطور وجهه الشرعي الواحد.

والحال ان أحزاب (اللقاء المشترك) تفرط كثيرا في الدعوة الى مصالحة وطنية عبر حوارٍ وطني بين القوى السياسية في السلطة والمعارضة . و يتوجّب التوقف أمام هذا النوع من المطالب والمقدمة السياسية التي هيأت لها، من خلال حركة الاعتصامات والاحتجاجات التي حرضت عليها قيادات حزبية وقبلية معارضة على نحو ما أشرنا اليه في الحلقات السابقة من هذا المقال .

اللافت للنظر أنّ الخطاب السياسي والاعلامي لأحزاب (اللقاء المشترك) يتجاهل المسؤولية التي يتحملها تكتيك (اللجوء إلى الشارع) عن التداعيات الخطيرة التي نجمت عن هذا التكتيك، وما ترتب عليه من مخاطر لا تهدد فقط السلم الأهلي والوحدة الوطنية، بل إنها تمتد لتفتح الأبواب واسعة لدخول تيارات مختلفة من الداخل والخارج، وإحياء مشاريع ميتة دفنتها الحركة الوطنية اليمنية بنضالها وتضحياتها، وبالذات نضال وتضحيات أبناء الجنوب اليمني الذين تصدوا لمشروع (الجنوب العربي) عندما حاول الاستعمار البريطاني تمريره بهدف تطويق شعارات الاستقلال والوحدة اليمنية التي رفعتها الأحزاب والقوى السياسية الوطنية والنقابات العمالية ومنظمات الطلاب والشباب والنساء في منتصف الخمسينات، على إثر ظهور الطبقة العاملة اليمنية كقوة سياسية منظمة في نقابات، وانخراطها في العمل الوطني التحرري، حيث كان الهدف من هذا المشروع يتمحور حول سلب وطمس الهويةٍ اليمنية للجنوب المحتل وتلفيق هوية بديلة ومزيفة بدلاً عنها.

ومما له دلالة أنّ الخطاب السياسي والاعلامي المعارض لا ينكر مخاطر انفتاح تكتيك اللجوء إلى الشارع على كل الاحتمالات والكوارث التي تهدد بتمزيق وحدة الوطن وتماسك نسيجه الاجتماعي، وبضمنها مشروع (الجنوب العربي) ومشروع (حضرموت التاريخية)، التي حرص الاستعمار على أن يحتفظ لها بكيان مستقل عن اتحاد الجنوبي العربي. لكن هذا الخطاب يتناول هذه المخاطر بحياء شديد وبهروب إلى الخلف ــ وليس إلى الأمام ــ حيث يكتفي بالتحذير مما درج قادة أحزاب (اللقاء المشترك) في مؤتمراتهم الصحفية وفعالياتهم الاعلامية على وصفه بالانهيار المحتوم ، بعد دخول اليمن في نفق مظلم بحسب خطابهم السياسي والاعلامي ، في إشارة تبريرية لتفاعل بعض اللاعبين السياسيين في حركة الشارع من المحسوبين على الحزب الاشتراكي اليمني وأحزاب (اللقاء المشترك) مع الخطاب المشبوه والشعارات الانفصالية التي تتحدث عن (الجنوب العربي) و(حضرموت التاريخية قبل الوحدة والشرعية) عبر بعض المسيرات والمقالات والمداخلات في بعض وسائل الإعلام المحلية والعربية على طريق التعاطي مع ما تسمى بالقضية الجنوبية ، مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ اصطلاح (القضية الجنوبية) كان عنواناً لثقافة سياسية استعمارية سلاطينية رجعية استهدفت طرح قضية الجنوب المحتل والتعامل معها من منظور جيوسياسي انعزالي يخرج مصير الجنوب اليمني وأهله من هويتهم الوطنية اليمنية، ويبعدهم عن مصيرهم المستند إلى حقائق التاريخ والجغرافيا ووحدة الأرض والإنسان والمصير.

ولما كانت الوحدة التي تحققت في الثاني والعشرين من مايو 1990م قد اقترنت بالديمقراطية كشرطٍ لحمايتها وترسيخها وتعميق مضمونها الوطني، فمن الطبيعي أن تتعرض الوحدة للخطر عند الخروج عن مبادئ وقواعد الممارسة الديمقراطية وعدم الاعتراف بنتائجها والسعي للانقلاب عليها عبر التهديد باللجوء إلى الشارع على نحو ما أعلنته أحزاب (اللقاء المشترك) فور إعلان فشلها في الانتخابات الرئاسية والمحلية عام 2006م، وما فعلته بعد أقل من مرور عام على تلك الانتخابات من خلال تحريض الشارع ضد نتائج تلك الانتخابات التي شهد العالم بشفافيتها وتعدديتها وأبدى إعجابه بالروح التنافسية غير المسبوقة التي تميزت بها.

عن / صحيفة (26 سبتمبر)

صعود الصين من جديد عزاء للعربي المتألم

تحتفل الصين الشعبية الشهر المقبل بالذكرى الستين لقيامها. وعندما يقرأ العربي المعاصر فصولاً من التاريخ الصيني، خاصة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين إلى منتصفه، يشعر بعزاء وأمل كبيرين في استعادة النهوض العربي من دروس تجربة الأمة الصينية التي تعرضت خلال تلك الفترة لأهوال بدت وكأنها مقيمة ومتكررة إلى أن حسمت الإرادة القومية الصينية ذلك الوضع، وبدأت الصين منذ 1949 صعودها الهادئ إلى مستوى القمة الدولية... "شريطة أن يدرك" كل عربي أن النتائج لم تأت مجاناً وكان وراءها دموع وكد وعرق ومسيرة طويلة مؤلمة وإرادة صلبة قبل كل شيء.

د. محمد جابر الأنصاري

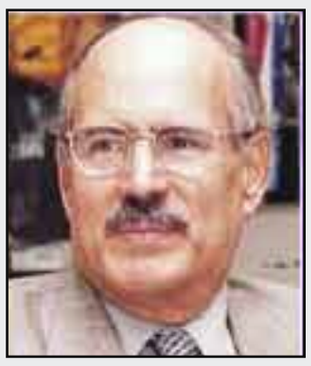

إن استيعاب العقل العربي للتجربة الصينية مطلب ملح في غاية الأهمية. وأحدث تنبيه عنها جاء من الكاتب النابه زياد عبداللّه الدريس في (الحياة) وذلك عن معاينة وزيارة ميدانية قام بها للصين ضمن عمله كممثل للسعودية في "اليونسكو".

أبدعت الصين واحدة من أرقى الحضارات الإنسانية في التاريخ، وكانت على اتصال وتفاعل مثمر مع الحضارة العربية الإسلامية والحضارات الأخرى. ولكن عندما أحاطت القوى الغربية بها مدفوعة بوسائلها الحضارية الجديدة، رفض العقل الصيني في البداية "الاعتراف" باولئك "البرابرة" الذين أحاطوا ب"مملكة السماء" الصينية في عقر دارها وبدأوا يتدخلون من أجل مصالحهم الذاتية في شؤونها الداخلية طوعاً أو كرهاً. وتقف "حرب الأفيون" التي شنتها "الديمقراطية" البريطانية على الصين عام 1838 من أجل اقتطاع "هونغ كونغ" واستخدامها كمعبر للتجارة المحرمة مع البر الصيني الكبير، تقف هذه "الحرب الغريبة" نموذجاً للتعامل الغربي بعامة مع الأمة الصينية. (ويقال إن "الديمقراطيات" لا تشن حروباً... فما تفسير تلك الحرب، وبريطانيا في ذلك التاريخ قد نضجت مؤسساتها الديمقراطية... كاملة غير منقوصة؟!) ولكن "رب ضارة نافعة" فحرب الأفيون كهزيمة حزيران 1967 في تاريخ العرب المعاصر جاءت بمنزلة خروج الصينيين من القرون الوسطى. كانت (حرب الأفيون) عملية في غاية الصعوبة والمشقة وامتلأت ب "الدم والنار... إذ لم تتعرض الصين أبداً للإذلال على هذا النحو" ولكن ذلك الإذلال هو في الوقت ذاته "تاريخ المقاومة والنهوض والتقدم أيضاً" وهو الظاهرة التي عبر عنها كارل ماركس بأنها: "ثورة فجر عهد جديد في آسيا كلها "(الصينيون المعاصرون، عالم المعرفة الكويتي، الرقم 210، ج 1، ص 173).

هكذا دخلت الصين العصر الحديث بمشاعر عداء عميق للغرب. وحيال التبشير والتدخلات الغربية في ظل الهزيمة القومية والحضارية، نشأت تنظيمات إرهابية صينية معادية للغرب والرجل الأبيض وديانته وحضارته الجديدة، ولجأت إلى سلاح "الإرهاب" المماثل إلى حدٍ كبير لظاهرة "الإرهاب" المنتشرة حالياً في البلاد العربية والإسلامية، الأمر الذي يدل تاريخياً، وقطعياً، على أن للإرهاب جذوره السياسية والدينية والنفسية وأنه لا يقتصر على دين دون آخر أو قوم دون آخرين، فالظروف التاريخية المتشابهة ظروف الإذلال والهزيمة واليأس تخلق ظواهر متشابهة: إرهاباً كانت أو غير ذلك.

وقد سمى المؤرخون تلك العناصر الإرهابية الصينية ب "الملاكمين" "حيث قاموا بانتفاضة دموية حدثت شمال الصين عام 1900م وفيها قتل مئات الصينيين، وما يزيد على 200 شخص من أقطار أخرى، وبلغت ثورة الملاكمين ذروتها أواخر القرن التاسع عشر ضد انتشار التأثير الغربي (والياباني) في الصين... انطلق "الملاكمون" وحطموا كل شيء اعتبروه أجنبياً، فذبحوا الصينيين النصارى، والبعثات التنصيرية... وكل فرد يؤيد الأفكار الغربية، وحرقوا المنازل والمدارس والكنائس، وعندما استنجد الدبلوماسيون الأجانب في بكين بفرق الإنقاذ، أعلنت حكومة المانشو (العائلة الحاكمة في الصين) الحرب على القوى الأجنبية... "وقد كانت حكومة المانشو تتظاهر في السابق بعدائها لهذه التنظيمات.

"حاصر الملاكمون وفرق الحكومة مقر الإقامات الرسمية للد بلو ما سيين الأجانب في بكين من 21 يونيو وحتى 14 أغسطس من عام 1900م، وأخيراً سحقت قوة إنقاذ من تسعة أقطار (غربية مع اليابان) تلك الانتفاضة" (الموسوعة العربية العالمية، ص 81 - 82).

هكذا تسبب الملاكمون الإرهابيون في تعريض بكين، عاصمة الدولة والحضارة في الصين للاحتلال الأجنبي المشترك، كما احتلت "تحالفات عسكرية دولية" عاصمة الخلافة العثمانية اسطنبول عام 1921، وعاصمة الخلافة العباسية بغداد عام 2005.

مرت الصين في مأزق العداء للغرب مع الحاجة لفكرة التحديث. فوجدت ضالتها في الماركسية، أي في فكرة غربية المنشأ، مناهضة للغرب.

سجل الزعيم الصيني ماوتسي تونغ هذا الإشكال بقوله: "في فترة طويلة جداً تمتد من حرب الأفيون إلى حركة مايو 1919 أي أكثر من سبعين عاماً، كان الصينيون يفتقرون إلى السلاح الفكري لمقاومة الامبريالية... واضطر الصينيون إلى تعلم نظرية النشوء والارتقاء، والحق الطبيعي، والجمهورية البرجوازية وغيرها من الأسلحة الفكرية... ولكن كانت تلك الأشياء ضعيفة جداً، ولم تستطع الصمود... إن الثورة الروسية عام 1917 أيقظت الصينيين من سباتهم... و(تعلموا) الشيء الجديد وهو الماركسية اللينينية... ومنذ ذلك الحين تغير اتجاه الصين... ومنذ ذلك الحين يجب إنهاء عصر احتقار الصينيين والثقافة الصينية من تاريخ العالم الحديث "(الصينيون المعاصرون، مصدر سابق، ص 263).

وتفسيره لذلك: "إن الماركسية من الثقافة الغربية... ونتاج الثقافة الاجتماعية الصناعية الغربية، وتتسم بالفكر العلمي للثقافة الغربية، ومغزى التقدم... كما أن الماركسية هي الثقافة الغربية المناهضة للغرب أيضاً، ونقدت التاريخ الغربي والحقيقة الاجتماعية نقداً عميقاً وكشفت النقاب، بصورة مفضوحة، عن النظام الاجتماعي للرأسمالية، وطبيعة الاستغلال، ويمكن أن تتجاوب مع الحالة النفسية للوطنية والقومية الصينية المتعاظمة وقتئذ.." (الصينيون المعاصرون، مصدر سابق، ص 262) غير أن الماركسية لم يسمح لها بأن تظهر بمظهر الفكرة "المستوردة" وتم التركيز على "تصيين" الماركسية، أي "تحقيق الدمج المتبادل بين النظرية الماركسية والممارسة المحدودة للثورة الصينية والبناء... ويعد ذلك بمنزلة قيام الصينيين (وخاصة الصينيين الشيوعيين)، بإغناء الماركسية وتطويرها من خلال الممارسة" (الصينيون المعاصرون مصدر سابق، ص 265).

تأسس الحزب الشيوعي الصيني عام 1921. ومر بتجارب مريرة عدة من الإخفاق والفشل. ثم لجأ إلى الأرياف خلافاً للتنظير الماركسي وقاد ماوتسي تونغ "المسيرة الطويلة" الناجحة من هناك. وأخذ يوحد الصين مقاطعة بعد أخرى، إلى أن دخل بكين عام 1949، وأعلن في الحادي والعشرين من أكتوبر/ تشرين الأول قيام جمهورية الصين الشعبية من ميدان "تيانانمن".

والمفارقة أنه بينما تصدى الشيوعيون في الصين لانجاز الوحدة القومية الحديثة، وقادوها، وقف الشيوعيون العرب ضد حركة الوحدة القومية وحاربوها... إرضاءً للحسابات المرحلية للأممية الشيوعية.

ومنذ توحيد الصين في دولة قومية حديثة، وهذه القوة الآسيوية المتحضرة في صعود هادئ متصلِ الحلقات... "ضد الامبريالية" حيناً وبمهادنتها تارةً أخرى، ضد "التحريفية" الشيوعية الروسية طوراً، وبالتحالف مع روسيا الجديدة طوراً آخر!... وصولاً إلى الأمم المتحدة ومقعد دائم في مجلس الأمن يتمتع بحق "الفيتو". وبالنظر إلى تحسن العلاقات مع "تايوان" في ظاهرة جديرة بالتأمل، فإن هذه الجزيرة قد كفت عن محاولتها العودة إلى عضوية الأمم المتحدة مراعاةً لمكانة الدولة الأم.

ورغم أن الدولة الصينية قد انتقلت إلى "اقتصاد السوق" الموجّه وصارت أدبياتها تتحدث عن أهمية صيد القطة للفئران بغض النظر عن كونها سوداء أو بيضاء - ولم تعد سائرة على النهج التقليدي للماركسية، وتحررت من سيطرة زعمائها "التاريخيين" مثل ماوتسي تونغ، فإنها لم تتنكر لهم ولدورهم التاريخي. وأمامي "روزنامة" صينية رسمية، خاصة بالذكرى الستين لقيام الدولة الحديثة تبدأ بصورتين لماو: الأولى: وهو يعلن قيام الدولة الموحدة، والثانية عام 1954 وهو يعلن دستورها "الاشتراكي" الأول.

إن التجربة الصينية في الشرق، واحدة من أبرز تجارب التحديث التي ينبغي أن يدركها العقل العربي، وأهميتها أنها مدت ذراعاً واحدة تغرف من الغرب أعمق أفكاره، ومدت الذراع الأخرى إلى مخزونها الحضاري تغرف منه أعمق مكنوناته.

 كاتب وأكاديمي بحريني